جهودُ المحدِّثين
في شرحِ الحديثِ الواحد
حديث «الدينُ النصيحةُ» نموذجاً

محمد ذكوان إسماعيل أوغلو

الملخَّص

عرضتُ في هذا المقالِ تعريفاً بجوامعِ الكَلِمِ، ثم لمحةً حولَ أغراضِ المصنفينَ إذ تتابعوا على شرحِ المتنِ الواحدِ، وما حصلَ للتراثِ الإسلاميِّ الزَّاخرِ من مصنَّفاتٍ كانت مَفاخِرَ عبرَ القرونِ، وأستطرِدُ للبرهانِ على المرادِ باستقراءِ جهودِ المحدِّثينَ في تأليفِ شروحٍ على حديثِ «إنما الأعمالُ بالنيَّاتِ»، وحديثِ أمِّ زَرْعٍ، ثم أعودُ إلى حديثِ «الدِّينُ النصيحةُ»، فأذكرُ تخريجَهُ، وفضلَهُ، وأعقدُ مقارنةً بين تأليفينِ جليلينِ في شرحهِ وبيانِ ما يُستنبطُ منه، هما «النصيحةُ الكافيةُ» للشيخِ أحمد زروق (ت: ٩٩٨هـ)، و«رشحةُ النصيحِ» لشيخِ الإسلامِ محمَّد دباغ زاده (ت: ١١١٤هـ).

وخلصتُ إلى أنَّ تعدُّدَ الشروحِ لمتنٍ واحدٍ فيه خيرٌ عظيمٌ، يُظهِرُ تنوعَ الملَكاتِ، وتفاوتَ الثقافاتِ، فلا يُغني كتابٌ عن كتابٍ، وكما قالوا: كم تركَ الأوَّلُ للآخرِ، ولو ركنَ المتأخِّرُ إلى مُؤلَّفاتِ سَلَفِهِ، ولم يُدلِ بدلوهِ، لضاعَ كثيرٌ من علومِ الدِّيْن، ولعَسُرَ على المتأخِّرينَ دَرْكُ مَقاصِدِ نصوصِ الكتابِ والسُّنة. واللَّهُ من وراءِ القصدِ وهو يهدي السبيل.

الكلمات المفتاحيَّة: شروحُ المتن، جهُودُ المحدِّثين، الحديثُ الواحد، جوامعُ الكَلِم.

Hadis Âlimlerinin Tek Hadis Şerhi Konusundaki Gayretleri, "Din Nasihattir" Hadisi Örneği

Muhammed Zakvan İsmailoğlu

Özet

Bu makalede öncelikle cevâmiü'l-kelim kavramının tanımı yapılmış, ardından müelliflerin aynı hadis metnini şerh etme amaçlarına ve bu süreçte İslam ilim mirasında ortaya çıkan kıymetli eserlere kısaca değinilmiştir.

Daha sonra muhaddislerin "Ameller niyetlere göredir" hadisi ile "Ümmü Zer' hadisi" üzerine yazdıkları şerhlerden örnekler verilmiş, ardından "Din nasihattir" hadisinin tahrici ve fazileti üzerinde durularak, bu hadis hakkında yazılmış iki önemli eser karşılaştırılmıştır: Şeyh Ahmed Zerrûk'un (en-Nasîhatu'l-kâfiye, ö. 899 h.) ve Şeyhülislam Muhammed Dabbâğzâde'nin (Raşhatü'n-Nasîh, ö. 1114 h.) eserleri.

Sonuç olarak, aynı metin üzerine birden fazla şerh yazılmasının büyük bir fayda taşıdığı, farklı kabiliyetleri ve kültürel zenginliği ortaya koyduğu ifade edilmiştir. Bir kitabın diğerinin yerini tutamayacağı; önce gelenlerin, sonrakilere çok şey bıraktığı vurgulanmıştır. Eğer sonrakiler, seleflerinin eserleriyle yetinselerdi, birçok din ilmi kaybolur ve kitap ile sünnetin maksatlarını anlamak zorlaşırdı. Allah doğru yolu gösterendir.

Anahtar kelimeler: Metin şerhleri, muhaddislerin gayretleri, tek hadis, cevâmiü'l-kelim.

Efforts of Hadith Scholars on Single Hadith Commentary, Example of Hadith "Religion is Advice"

Muhammed Zakvan Ismailoglu

Abstract

In this article, I presented a definition of jawāmiʿ al-kalim (the comprehensive words of the Prophet), followed by an overview of the purposes behind scholars' repeated commentaries on the same hadith texts and the rich Islamic heritage that resulted in remarkable works across centuries.

I then examined the efforts of hadith scholars who authored commentaries on the hadith "Actions are by intentions" and the "Hadith of Umm Zarʿ." Afterwards, I turned to the hadith "Religion is sincere advice," mentioning its transmission and virtue, and comparing two significant commentaries written on it: Al-Nasīḥa al-Kāfiya by Shaykh Ahmad Zarruq (d. 899 AH) and Rashḥat al-Naṣīḥ by Shaykh al-Islam Muhammad Dabbaghzadeh (d. 1114 AH).

I concluded that the existence of multiple commentaries on a single text is a great blessing, as it reveals the diversity of scholars' talents and cultural backgrounds. No single book can replace another; as the saying goes, "How much did the first ones leave for the later ones!" Had the later scholars relied only on their predecessors' works without contributing their own, much of the religious sciences would have been lost, and understanding the purposes of the Qur'an and Sunnah would have become difficult for later generations. Allah is the ultimate guide.

Keywords: Commentary on the text, efforts of the hadith scholars, single hadith, jawāmiʿ al-kalim.

مقدِّمة

الحمدُ للهِ تعالى حقَّ حمدِه، تفضَّلَ على العبادِ بإرسالِ الرُّسلِ المجتبَينَ هادينَ مبشِّرينَ ومنذرين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ خاتمِ النبيِّينَ، أنزلَ عليهِ الكتابَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، أفصح الألسنِ في البيانِ والتبيينِ، وآتى سيدنا النبيَّ محمَّداً عليه السلامُ من الفصاحةِ أعلاها، فخاطبَ الناسَ على قدرِ عقولِهم وحازَ من البلاغةِ أقصاها، فكانَ بيانُهُ للقرآنِ وحيًا غيرَ متلوٍّ، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النحم: ٣-٤].

وتلقَّفَ صحابتُه الكرامُ عنهُ كلماتِهِ فحفظوها ووعَوها، ونقلُوها للتابعينَ مع معانيها وأسبابِ وُرُودِها، وهكذا اجتهدَ المحدِّثونَ جيلًا بعدَ جيلٍ في نقلِ ما أُثرَ عنهُ صلَّى الله عليه وسلَّم، فاجتمعَ للأمَّةِ ميراثٌ عظيمٌ، مَن أخذهُ وبلَّغهُ وعمِلَ به فقد أخذَ بحظٍّ وافر.

هذا، ومن خلالِ هذا الموضوعِ رُمْتُ تسليطَ الضوءِ على عنايةِ العلماءِ عبرَ العصورِ المتتاليةِ بخدمةِ السُّنةِ المطهَّرة؛ لا سيَّما ما كان منها في قمَّةِ البلاغةِ والوجازةِ؛ لأنَّه مظنَّةٌ لكثرةِ الفوائد، وسعةِ العَوائِد، فعمدتُ إلى حديثِ «الدِّينُ النصيحةُ»، وأردتُ إبرازَ عنايةِ العلماءِ به، شرحًا واستنباطًا، واستقرَيتُ المؤلَّفاتِ المفردةِ في خدمتهِ، موردًا نظائرَ لهذا الحديثِ كثُرَ الاشتغالُ بها، واللهُ الموفّق.

ثم إنّي جعلتُ الموضوعَ مؤلَّفًا من مقدِّمةٍ، ومبحثينِ، وخاتمة.

تمهيد

في معنى جوامعِ الكَلِم، وفيها:

أ. تعريفُ جوامعِ الكَلِم

قال أبو سليمانُ الخطَّابيُّ (ت: ٣٨٨هـ) في قولهِ عليه الصلاةُ والسلام: «بُعِثْتُ بجَوامعِ الكَلِمِ»[١]: (معناه: إيجازُ الكلامِ في إشباعٍ للمعاني، يقولُ الكلمةَ القليلةَ الحروفِ، فتنتظِمُ الكثيرَ من المعنى، وتتضمَّنُ أنواعًا من الأحكام.

وفيه الحضُّ على حُسنِ التفهُّم، والحثُّ على الاستنباطِ لاستخراجِ تلك المعاني، ونبشُ تلكَ الدفائنِ المُودَعَةِ فيها)[٢].

وعليه فيشترطُ في الحديثِ ليكونَ من جوامِعِ الكَلِمِ أن يكونَ وجيزَ الألفاظ، واسعَ المعاني، بالغًا الحدَّ في الفصاحة، مُستكمِلًا شرائطَ البلاغة.

وكلَّما زاد ضبطُ الحفَّاظِ النقلَةِ كان مرويُّهم أقربَ إلى البيانِ النبويِّ الصِّرف، دون تدخُّلِ الرواةِ بالروايةِ بالمعنى؛ لا سيَّما وقد نصَّ العلماءُ على أنَّ من شرطِ الروايةِ بالمعنى ألَّا يكونَ الحديثُ من جوامِعِ الكَلِم.

ب. أهميَّةُ التوسُّعِ في شرحِ جوامعِ الكَلِم

جوامعُ الكَلِم كثيرةٌ في السُّنةِ المطهَّرة، ولعلَّ الحكمةَ في كثرتِها التوسيعُ على الأمَّةِ في استنباطِ الأحكام، من خلالِ التأمُّلِ في معاني ودلالاتِ الألفاظِ النبويَّةِ قليلةِ المَبنى، واسعةِ المعنى.

ويلحظُ المُعتني بهذا الشأنِ حكمةَ الله تعالى في أنَّ بعضَ النصوصِ في الكتابِ والسنَّةِ جاءتْ محكمةً ظاهرةَ المعاني بحيثُ لا تحتملُ التأويلَ والنَّسْخَ، وأكثرُ

---

١ رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، (باب قول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: نُصِرْتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرٍ) ٤/ ٥٤ (٢٩٧٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (باب: جُعِلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا) ١/ ٣٧١ (٥٢٣/ ٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ أعلام الحديث للخطَّابيّ ٢/ ١٤٢٢.

النصوصِ محتملةٌ للتأويل، وربَّما تعارضَتْ ظاهرًا فيما يبدو لنا، فاحتيجَ إلى الجمعِ بين المُتعارض، وطرأت مناهجُ مختلفةٌ للمجتهدينَ صدرَ عنها أحكامٌ كثيرةٌ متباينة، كانت في مُجمَلِها رحمةً للمكلَّفين، وأمارةَ تيسيرٍ في التكاليف الشرعيَّة، تُراعي اختلافَ الأممِ والشعوبِ في نواحي المعمورَة، واختلافَ أعرافِهم.

ج. أسبابُ تعدُّدِ الشروحِ لمتنٍ واحد[1]

يلاحظُ المطَّلعُ على كتبِ الحديثِ عنايةَ العلماءِ بشرحِ المتون، قرنًا بعد قرنٍ، يبغي كلٌّ منهم نيلَ شرفِ خدمةِ المتونِ الجليلةِ التي تلقَّتها الأمةُ بالقَبول، وإنْ سألَ سائلٌ: ما الغايةُ من إعادةِ الشرح؟ ولِمَ لا يكتفي المتأخِّرُ بالعكوفِ على مؤلَّفاتِ سَلَفِه، وتحفُّظِها وتَلقينِها؟ فالجوابُ أنَّنا نلمحُ في تعدُّدِ الشروحِ للمتنِ الواحدِ أغراضًا، منها:

- **زيادةُ الفوائد**: لَمَّا كان المصنِّفونَ متفاوتينَ في المكنةِ العلميَّةِ بحيثُ يتصوَّرُ أن يزيدَ بعضُهم على بعض، ومختلفينَ في الأزمنةِ والأمكنةِ بحيثُ تختلفُ الأعرافُ، ومتفاوتينَ أيضًا في محطِّ الاهتمامِ في الشرح؛ فمِنْ معتنٍ باللغةِ والبلاغةِ وفنونِها، وآخرُ مُكثرٌ من استنباطِ الأحكام، وثالثٌ مولعٌ بالأدلَّةِ من الكتابِ والسنَّة، ورابعٌ فائقٌ في علمِ الرِّجالِ ونقدِ الأسانيد، وهلمَّ جرًا، ظهرَ فائدةُ تعدُّدِ الشروح.

- **إيضاحُ المُشكِل**: فقد يأتي المتأخِّرُ بكشفِ مُعضلاتٍ لم تتَّضحُ لسَلَفِه، وكمْ تركَ الأوَّلُ للآخِر! وقد قيل: [الطويل]

وإنّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ***لآتٍ بما لم تَستَطِعْهُ الأوائلُ

ولو ركنَ المتأخِّرُ لِمَا جاءَهُ عن السَّلَفِ لَمَا حصلَ لنا هذا التراثُ العلميُّ الزاخر، وتلكَ الموسوعاتُ العظيمةُ التي تعدُّ من مَفاخِرِ الدَّهر، ولنقصَ العلمُ حتَّى لا نكادُ نستقري صُواه.

---

١ يمكنُ أن يُعمَّمَ المقصود بالمتن إلى ما يشملُ حديثًا واحدًا، أو جزءًا حديثيًا، وحتى جامعًا للسُّنن، وكذلك الحالُ في المتونِ العلميَّةِ في شتَّى الفنون.

- **الكلامُ في واقعاتٍ لم تكن زمنَ السَّلَف**: فالمسائلُ الطارئةُ تحتاجُ إلى كشفِ حُكمِها بناءً على الموروثِ العظيم، فتُستنبَطُ أحكامُها وَفْقَ قواعدِ تفسيرِ النصوص، أو تقاسُ على أشباهِها ونظائِرها، وبهذا يتميَّزُ المتأخِّرُ عمَّن سبقَه، إذ يناقشُ القضايا الطارئة، ويجتهدُ لمعرفةِ حُكمِها، ويوردُ الشبهاتِ والطعونَ في الشريعةِ الغرَّاء، ويبذلُ الجهودَ لدَحضِها.

- **اختلافُ المَذهَب**: من أغراضِ المصنِّفينَ جمعُ الأدلَّةِ لتأييدِ المذهَبِ المقلَّد، ومناقشةُ المُخالِفِ في الخلافيَّاتِ وَفْقَ القواعدِ العلميَّةِ والمنطقيَّة، وفي هذا ذخيرةٌ عظيمةٌ للمُطالِعِ تصقلُ معرفَتَه، وتُذكي همَّته.

- لا يمتنعُ، بل إنَّه ليحسنُ إقامةُ أدلَّةٍ كثيرةٍ على مدلولٍ واحد، فقد يزيدُ المتأخِّرُ في الأدلةِ على ما أوردَهُ سَلفُه، وفوقَ كلِّ ذي عِلمٍ عَليم.

- **قد يوجدُ في بعضِ الشروحِ نُقولٌ عن كتبٍ مفقودةٍ ذاتِ أهميَّة، فتورثُ الشرحَ أهميَّة**، فمن ذلك ما نقلَ ابنُ مفلح (ت: ٧٦٣هـ) في الآدابِ الشرعيَّةِ عن الفنونِ لابنِ عقيلٍ (ت: ٧٦٩هـ)، وكذلك تاجُ الدينِ السُّبكيُّ (ت: ٧٧١هـ) في الطبقاتِ الكُبرى حفظَ لنا في ثنايا التراجِمِ كُتبًا ورسائلَ علميَّةً برُمَّتها.

المبحثُ الأوَّلُ

أمثلةٌ استقرائيَّةٌ على اعتناءِ العُلماءِ بشرحِ الحديثِ الواحِد

كثُر اعتناءُ العلماءِ على تَتابُعِ الأجيالِ بشرحِ الأحاديثِ الوجيزةِ الألفاظِ الكثيرةِ المعاني الملقَّبةِ بجوامِعِ الكَلِم، فهي مَعينٌ لا ينضبُ، يرِدُهُ الناسُ عبر العصورِ المتتالية، ولا يزالونَ يصدُرونَ عنه بفوائدَ جمَّةٍ، وفرائدَ نفيسة، تزيدُ في رصيدِ خزينةِ العلومِ الشرعيَّةِ إلى قيام الساعَة.

وأذكرُ من ذلكَ حديثينِ أستقرِي بقدرِ الإمكانِ المؤلَّفاتِ المُفرَدةَ لشرحِهما، وهما حديثُ «إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ»، وحديثُ أمِّ زرع.

ففي هذا المبحثِ مطلبانِ:

المطلبُ الأوَّلُ: حديثُ «إنَّما الأعْمَالُ بالنيَّاتِ»

روى الشيخانِ -واللفظُ للبخاريّ- عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقول: «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرِئٍ ما نَوَى، فمَنْ كانتْ هِجرَتُهُ إلى دنيا يُصيبُها، أو إلى امرأةٍ يَنكِحُها، فهِجْرتُهُ إلى ما هَاجرَ إليه».[1]

وهو حديثٌ مشهورٌ معدودٌ من أصولِ الدين، ولا يكادُ يخلو كتابٌ منه، لِمَا له من أهميَّةٍ في مُراقَبةِ الإنسانِ لعملهِ وحركتِه، فلا يخلو عن النيَّةِ التي بها يحصلُ الثوابُ العظيم، وفي كثيرٍ من المواطِنِ لا تصحُّ الأعمالُ الخاليةُ عن نيَّة.

وتتابعَ العلماءُ على تناولهِ بالشرحِ والبيان، والاستنباطِ للأحكامِ في كلِّ مكانٍ وآن، فمنْ أشهَرِ هذهِ الشروح:

-الإملاءُ شرحُ حديثِ «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ» لمحيي الدينِ يحيى بن شرف

---

١ رواهُ البخاريُّ في بدءِ الوحي، كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ١/ ٦ (١)، ومسلم في كتابِ الإمارة، (باب قوله صلى الله عليه وسلم: إنَّما الأعمالُ بالنيَّة) ٣/ ١٥١٥ (١٩٠٧/ ١٥٥) من حديثِ عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه.

النوويّ (ت: ٦٧٦هـ).[١]

-نهايةُ الأمنياتِ في الكلامِ على حديثِ «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ» لمحمَّد بن أحمد بن سليمان الأنصاريّ الشافعيّ، ويُعرفُ بابن خطيبِ داريَّا (ت: ٨١١هـ).[٢]

-خُلاصَةُ الأقوالِ في حديثِ «إنَّما الأَعْمَال» لمحمَّد بن سليمان الكافِيَجيّ (ت: ٨٧٩هـ).[٣]

-مُنتهَى الآمال في شرحِ حديثِ «إنَّما الأَعْمَال» لجلال الدين السيوطيّ (ت: ٩١١هـ).[٤]

-شرحُ حديثِ «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ» لمحمَّد بن بيرعلي بن إسكندر البِرِكْوِيّ (ت: ٩٨١هـ).[٥]

-شرحُ حديثِ «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ» لشيخِ الإسلامِ محمَّد بن مصطفى العثمانيّ المعروف ببستان زاده (ت: ١٠٠٦هـ).[٦]

-شرحُ حديث «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ» ليوسف بن محمَّد جان القره باغي الشاهيّ الهمدانيّ المعروف بمحمَّد شاهي (ت: ١٠٣٥هـ).[٧]

-بلوغُ الأمنيَّة في حديث «إنَّما الأعمالُ بالنيَّة» لأحمد بن محمَّد بن أبي الخير

---

١ منه نسخة في الخزانةِ التيموريَّة مجامع ٢٨٢. وهو مطبوع بتحقيق د. محمد يوسف الحوراني، الذخائر، ط٢، ٢٠١٨م.

٢ الضوء اللامع للسخاويّ ٦/ ٣١١، إيضاح المكنون للبغداديّ ٤/ ٦٩٠.

٣ منها نسخة في مكتبة آيا صوفيا رقم ٥٢٥. هديَّة العارفين للبغداديّ ٢/ ٢٠٨، معجم تاريخ التراثِ الإسلاميّ قره بولوط ٤/ ٢٧٥٧. حقِّق برسالة ماجستير للطالب سارية الجندي في جامعة شكروفا في أدنة - تركيا ٢٠١٩م.

٤ ذكره محمَّد عبد الحي الكتَّاني في فهرس الفهارس ٢/ ١٠١٦. وهو مطبوع سنة ٢٠٠٨م بتحقيق محمد عطية، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٥ إيضاح المكنون للبغداديّ ٤/ ٦٥٥.

٦ منها نسخة في مكتبة إزمير ملي ١١٣٢/ ٩ ورقة ٤١ - ٥١؛ ١٠٥٤هـ. هديَّة العارفين للبغداديّ ٢/ ٢٦٧، معجم المؤلّفين كحالة ٩/ ١٤٣.

٧ منها نسخة في مكتبة كوبريلي ٧٨٩/ ٢ ورقة ١٢٨- ١٥٣؛ ١٠٣٢هـ. هديَّة العارفين للبغداديّ ٢/ ٥٦٦، معجم تاريخ التراث الإسلاميّ قره بولوط ٥/ ٤٠١٧.

المرحوميّ الأزهريّ الشافعيّ المتوفَّى بعد سنة (١٠٨٨هـ).[١]

-إعمالُ الفكرِ والرواياتِ في شرحِ حديثِ «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ» لإبراهيم بن حسن الكورانيّ (ت: ١١٠١هـ).[٢]

-الهِباتُ الوافيات في الكلامِ على حديثِ «إنَّما الأعمالُ بالنيَّات» لمصطفى بن محمَّد القلعاويّ (ت: ١٢٣٠هـ).[٣]

-عُمدةُ الطاعات وعدَّة العبادات في تفسيرِ حديثِ «إنَّما الأعمالُ بالنيَّات» (تركي) للفاضِل قاضي عسكر يونس وهبي بن محمَّد الرِّيْزَه وِي الروميّ الحنفيّ، كان حيًّا سنة (١٣٢١هـ).[٤]

-الذَّخائرُ الخفيَّة في شرحِ حديثِ «إنَّما الأعمالُ بالنيَّة» للسيد محمَّد عارف الدمشقيّ (ت: ١٣٤٢هـ)، أوَّله: "الحمدُ لله الذي أناطَ مرضاتِهِ بالامتثالِ لأوامرِهِ، والخضوعِ لطاعته".[٥]

ولا يخفى أنَّ هذا الحديثَ قد تناولتْهُ بالعنايةِ شروحُ دواوينِ السنَّةِ بين مختصرٍ ومُطيل، بحيثُ تجتمعُ الكراريسُ الكثيرةُ في خدمته.

المطلبُ الثاني: حديثُ أمِّ زَرْع[٦]

روى الشيخانِ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: جلسَ إحدى عشرةَ امرأةً،

١ منها نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس ٧٤٥٠/ ١ ورقة ٣- ٤٦. معجم المؤلِّفين كحالة ٢/ ١٠٠، ذيل كشف الظنون للبغداديّ ١/ ٢١. حقَّق برسالة ماجستير في جامعة أمِّ القرى بمكَّة بتحقيق أحمد الكبيسي سنة ٢٠١٢م.

٢ منه نسخة في الخزانة التيموريَّة رقم (٤١٥). البدر الطالع للشوكانيّ ١/ ١٢، إيضاح المكنون للبغداديّ ٣/ ١٠٥، معجم تاريخ التراث الإسلاميّ قره بولوط ١/ ١٣. وهو مطبوع بتحقيق أحمد رجب أبو سالم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٣ من محفوظات المكتبة الأزهريَّة بالقاهرة برقم (٥٤٦٤) بخطِّ المؤلِّف، نُشِرتْ في مجلَّة كلية العلوم جامعة الموصل ٢٠٢٣م بتحقيق د. سامي عواد بدوي.

٤ إيضاح المكنون للبغداديّ ٤/ ١٢٢.

٥ إيضاح المكنون للبغداديّ ٣/ ٥٤٠، الأعلام للزركليّ ٦/ ١٨٠.

٦ رواه البخاريُّ في كتاب النكاح، (باب حُسن المُعاشرة مع الأهل) ٧/ ٢٧ (٥١٨٩)، ومسلم في كتاب فضائلِ الصحابة، (باب ذِكر حديث أم زَرْع) ٤/ ١٨٩٦ (٢٤٤٨/ ٩٢) من حديثِ عائشةَ رضي الله عنها.

فتعاهَدْنَ وتعاقَدْنَ أنْ لا يكتمْنَ من أخبارِ أزواجِهنَّ شيئًا، قالت الأولى: زوجي لحمُ جمَلٍ غثٍّ، على رأسِ جَبلٍ، لا سهلٍ فيُرتَقى، ولا سمينٍ فيُنتَقَل، قالت الثانيةُ: زوجي لا أبثُّ خبرَه، إنّي أخافُ أنْ لا أذرَه، إن أذكرْهُ أذكرْ عُجَرَهُ وبُجَرَه، قالت الثالثة: زوجي العَشَنَّق، إن أنطِقْ أُطلَّقْ، وإن أسكتْ أُعلَّقْ، قالت الرابعةُ: زوجي كلَيْلِ تِهامةَ، لا حرٌّ ولا قرٌّ، ولا مخافةَ ولا سآمةَ، قالت الخامسة: زوجي إنْ دخلَ فهِدَ، وإن خرجَ أسِدَ، ولا يسألُ عمَّا عَهِدَ، قالت السادسة: زوجي إنْ أكلَ لفَّ، وإن شَرِبَ اشتفَّ، وإن اضْطَجَعَ التفَّ، ولا يولجُ الكفَّ ليعلَمَ البثَّ، قالت السابعة: زوجي غَيَاياءُ – أو عَيَاياءُ – طَباقاءُ، كلُّ داءٍ له داءٌ، شَجَّكِ أو فَلَّكِ، أو جمعَ كلًّا لكِ، قالت الثامنة: زوجي المَسُّ مَسُّ أرنَب، والريحُ ريحُ زَرْنَب، قالت التاسعة: زوجي رفيعُ العِماد، طويلُ النِّجاد، عظيمُ الرَّماد، قريبُ البيتِ من النَّاد، قالت العاشرة: زوجي مالكٌ وما مالكٌ، مالكٌ خيرٌ من ذلك، له إبِلٌ كثيراتُ المَبَارِك، قليلاتُ المَسارِح، وإذا سَمِعنَ صوتَ المِزْهَرِ، أيقنَّ أنهنَّ هَوالِك، قالت الحاديةَ عشرةَ: زوجي أبو زَرْع، فما أبو زرعٍ، أَنَاسَ من حُليٍّ أُذُنيَّ، وملأَ من شَحمٍ عَضُدَيَّ، وبجَّحني فبَجِحَتْ إليَّ نَفْسِي، وجدني في أهلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فجعلني في أهلِ صَهِيلٍ وأَطيطٍ، ودائِسٍ ومُنَقٍّ، فعندَهُ أقولُ فلا أُقَبَّح، وأرقُدُ فأتَصَبَّح، وأشربُ فأتَقَنَّح، أمُّ أبي زَرْعٍ، فما أمُّ أبي زَرْع، عُكُومُها رَداَح، وبيتُها فَسَاح، ابنُ أبي زَرْع، فما ابنُ أبي زَرْع، مَضجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَة، ويُشبِعُهُ ذِراعُ الجَفْرَة، بنتُ أبي زَرْعٍ، فما بنتُ أبي زَرْع، طوعُ أبيها، وطوعُ أمِّها، وملءُ كِسائِها، وغَيْظُ جارتِها، جاريةُ أبي زَرْعٍ، فما جاريةُ أبي زَرْع، لا تبثُّ حديثَنا تبثيثًا، ولا تُنقِّثُ مِيرتَنا تنقيثًا، ولا تملأُ بيتنا تعشيشًا، قالت: خرجَ أبو زَرْعٍ والأوطابُ تُمخَضُ، فلقِيَ امرأةً معها ولدانِ لها كالفَهْدين، يلعبانِ من تحتِ خَصْرِها برُمَّانتين، فطلَّقني ونكحَها، فنكحتُ بعدهُ رجلًا سَريًّا، رَكِبَ شَريًّا، وأخذَ خَطيًّا، وأراحَ عليَّ نِعمًا ثَرِيًّا، وأعطاني من كلِّ رائحةٍ زوجًا، وقال: كُلي أمَّ زَرْعٍ ومِيرِي أهْلَكِ، قالت: فلو جَمعْتُ كلَّ شيءٍ أعطانيهِ، ما بلغَ أصغرَ آنِيَةِ أبي زَرْع، قالت عائشة: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زَرْعٍ».

وهو حديثٌ مشهورٌ يظهرُ فيه الخُلُقُ النبويُّ السامي، وحُسنُ العِشرة، وفيه من الأدبِ اللغويِّ والإسلاميِّ الجمُّ الغفير.

قال الحافظُ ابنُ حَجَر (ت: ٨٥٢هـ): "وقد شرحَ حديثَ أمِّ زرعٍ إسماعيلُ بنُ أبي أويسٍ شيخُ البخاريّ، روينا ذلك في جزءِ إبراهيمَ بن دِيْزِيلَ الحافظِ من روايته عنه، وأبو عُبَيدٍ القاسمُ بن سَلَّامٍ في غريبِ الحديث، وذكر أنَّهُ نقلَ عن عدَّةٍ من أهلِ العلمِ لا يحفظُ عددَهُم، وتعقَّبَ عليه فيه مواضعَ أبو سعيدٍ الضريرُ النيسابوريُّ، وأبو محمَّدٍ ابن قتيبةَ كلٌّ منهما في تأليفٍ مُفرد، والخطابيُّ في شرحِ البخاريّ، وثابتُ بن قاسم، وشرَحَهُ أيضًا الزبيرُ بن بكَّار، ثمَّ أحمدُ بن عُبَيد بن ناصح، ثمَّ أبو بكرٍ ابنُ الأنباريّ، ثمَّ إسحاقُ الكاذي في جزءٍ مُفرد، وذكر أنَّهُ جمعهُ عن يعقوبَ بن السكِّيت، وعن أبي عبيدةَ وعن غيرهما، ثمَّ أبو القاسمِ عبدُ الحكيمِ بن حبَّانَ المصريُّ، ثمَّ الزمخشريُّ في الفائق، ثم القاضي عِياضٌ، وهو أجمَعُها وأوسَعُها، وأخذ منه غالبُ الشُّرَّاحِ بعده."[١]

فقد كثرت العنايةُ بالحديثِ ضمنَ شروحِ دواوينِ السنَّةِ، ولَمَّا كثُر غريبُهُ اعتنى به المصنِّفونَ في فنِّ غريبِ الحديثِ منثورًا في ثنايا كتبهم.

والغرضُ الكلامُ في المصنَّفاتِ المُفردَةِ للعنايةِ بهذا الحديث، وظفرت من شروحهِ المفردةِ بمصنَّفاتٍ نفيسة، أذكُرها مرتَّبةً بحسبِ تاريخِ وفاةِ مؤلِّفيها:

-شرحُ حديثِ أمِّ زَرْعٍ المنسوبِ للطبريّ (ت: ٣١٠هـ).[٢]

-شرحُ أبي بكرٍ محمَّد بن القاسم بن محمَّد الأنباريّ (ت: ٣٢٨هـ) لغريبِ حديثِ أمِّ زَرْع.[٣]

-بيانُ غرائبِ حديثِ أمِّ زَرْع لمحمَّد بن أبي نصرٍ بن عبد الله الحميديّ (ت: ٤٨٨هـ).[٤]

---

١ فتح الباري لابن حجر ٩/ ٢٥٥- ٢٥٦.

٢ كذا رأيته في معجم تاريخ التراث الإسلاميّ لقره بولوط ٤/ ٢٧٤٧. وطالعتُه في النسخةِ التي أخذ عنها وهي نسخة (مكتبة كوبريلي رقم ٣/ ١٠٨٠ ورقة ١٥٥- ١٥٨؛ ٩٦٩هـ) وهي بخطِّ محمَّد بن محمَّد بن سيف الحنفيّ (ت: ٧٠٩هـ)، فرأيته كتب فيه: (شرحُ حديثِ أمِّ زَرْعٍ للإمامِ الطبريِّ رحمه الله) ويقعُ في ثلاثِ ورقات، لكن وجدتُ فيه نقلًا عن الجوهريّ صاحبِ الصِّحاح، فيبعد نسبته إليه، والله أعلم.

٣ ذكرهُ ابنُ خير الإشبيليُّ في فهرسته ص١٦٦، وقال الدكتور فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربيّ ١/ ٢٧٥: وكان معروفًا في الأندلس.

٤ منه نسخةٌ بالمكتبةِ المحموديَّةِ بالمدينة (٢٥٨٧/ ٣). خزانة التراث ١٢٣/ ١٨٠.

-شرحُ حديثِ أمِّ زَرْعٍ لأبي بكرٍ محمَّد بن عبد الله ابن العربيِّ المالكيِّ (ت: ٥٤٣هـ).[١]

-بغيةُ الرائدِ لما تضمَّنه حديثُ أمِّ زرعٍ من الفوائد للقاضي عياض بن موسى اليحصبيِّ (ت: ٥٤٤هـ).[٢]

-رسالةٌ في حديثِ أمِّ زَرع للعز ابن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ).[٣]

-مُطرِب السَّمْع في شرحِ حديثِ أمِّ زَرْع لتاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد المكيِّ (ت: ٧٤٣هـ).[٤]

-رَيْع الفَرْع في شرحِ حديث أمِّ زَرْع لشمس الدين محمَّد بن عبد الله القيسيِّ ابن ناصر الدين الدمشقيّ (ت: ٨٤٢هـ).[٥]

-شرحُ عليِّ بن محمَّد بن سعد الجَبْرِينيِّ الحلبيِّ الطائيِّ الشافعيِّ ابن خطيب الناصريَّة (ت: ٨٤٣هـ).[٦]

-شرحُ حديثِ أمِّ زَرْع لأحمد بن زكيِّ الدين ابن الخلَّالِ الشافعيِّ من علماء القرن العاشر الهجريِّ.[٧]

-الأصلُ والفرع في شرحِ حديثِ أمِّ زَرْع (تركي) لإبراهيم حنيف بن مصطفى أفندي الأسكوبيِّ العثمانيِّ المتوفى بإستانبول سنة (١١٨٩هـ) تاريخ التأليف: (١١٤٨هـ).[٨]

---

١ هديَّة العارفين للبغداديِّ ٢/ ٩٠.

٢ كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٢٤٨. وهو مطبوعٌ بتحقيقِ صلاح الدين الإدلبيِّ وآخرين في وزارة الأوقافِ بالمملكة المغربيَّة، ١٩٧٥م، ومعه شرحُ السيوطيِّ.

٣ نُشرت في القاهرة ١٩٠٦م.

٤ طبقات الشافعيَّة لابن قاضي شهبة ٣/ ٢٦، كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٧١٨.

٥ صلةُ الخلف لابن طاهر، ٢٥٠، هديَّة العارفين للبغداديِّ ٢/ ١٩٣. وهو مطبوعٌ بتحقيق عبد الله الشبراوي بدار البشائر، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٦ معجم المؤلِّفين، كحالة ٧/ ٢٠٠.

٧ مطبوعٌ بتحقيقِ عبد الله الشبراوي، دار المقتبس، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

٨ منه نسخة في مكتبة جلبي عبد الله أفندي ٧٠/ ٢، ورقة ٦٩ – ٧٧. معجم تاريخ التراث الإسلامي قره بولوط ١/ ١٠٨.

-حسنُ القَرْع على حديثِ أمِّ زَرْع لأحمد بن عبد الغنيّ التميميّ الخليليّ المتوفَّى بعد سنة (١٢٠٢هـ).[١]

وقد تمَّ الغرضُ بعونِ الله في إظهارِ اهتمامِ العلماءِ قرنًا بعد قرنٍ بهذا الحديث.

المبحثُ الثاني

حديث «الدِّيْنُ النصيحةُ»

وفيه ثلاثةُ مطالبَ أعرضُ فيها تعريفًا بالحديث، وأذكرُ اثنينِ من العلماء ممَّن اعتنى بشرحِ الحديثِ في مؤلَّفٍ مستقلٍّ، ثم أُقارنُ بين الكتابين من حيث المضمونِ والمحتوى، والقيمةِ العلميَّة.

المطلبُ الأوَّل

حديثُ «الدِّيْنُ النصيحةُ» هو قولُه صلَّى الله عليه وسلَّم: «الدِّيْنُ النصيحةُ»، قلنا: لمَن؟ قال: «للهِ، ولكتابهِ، ولرسولهِ، ولأئمَّةِ المسلمينَ، وعامَّتهم».

الحديثُ علَّقَه البخاريُّ، ورواهُ مسلم، وأبو داود، والنسائيُّ من حديثِ تميمٍ الداريّ رضي الله عنه.[٢]

ورواهُ الترمذيُّ والنسائيُّ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.[٣]

ورواه الدارميُّ من حديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما.[٤]

---

١ ذكره الزركليُّ في الأعلام ١/ ١٥٢. منه نسخة في المكتبة الأزهرية ٢٤١٠/ ٢٨٥٠٧ كما في خزانة التراث ١٠١/ ٩٥١. وهو مطبوع بتحقيق عبد الله العتيق بدار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠٠٩م.

٢ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، (باب قول النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: الدِّينُ النَّصِيحةُ للهِ، ولرسولِه، ولأئمَّةِ المسلمين، وعامَّتِهم)، ١/ ٢١معلقاً؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب بيان أنَّ الدينَ النصيحة) ١/ ٧٤ (٥٥/ ٩٥)، سنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في النصيحة) ٤/ ٢٨٦ (٤٩٤٤)، سنن النسائي، كتاب البيعة، (النصيحة للإمام) ٧/ ١٥٦ (٤١٩٧).

٣ سننُ الترمذيّ، أبواب البرِّ والصِّلة، (باب ما جاء في النصيحة) ٣/ ٣٨٨ (١٩٢٦) وقال: هذا حديث حسن، سننُ النسائي، كتاب البيعة، (النصيحة للإمام) ٧/ ١٥٧ (٤١٩٩).

٤ سننُ الدارميّ، كتاب الرقاق، (باب الدِّينِ النصيحة) ٣/ ١٨١٢ (٢٧٩٦). وقال محقِّقه: إسناده حسن.

ما قيلَ في فضلِ هذا الحديث

روى الخطيبُ البغداديُّ (ت: ٤٦٣هـ) في الجامعِ لأخلاقِ الراوي، قال: حدَّثني عبدُ العزيزِ بن عليّ الورَّاق لفظًا، أخبرنا أبو بكرٍ محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن يعقوب المفيد قال: سمعتُ عبدَ الله بن أبي داود السِّجِسْتانيَّ يقول: سمعتُ أبي سليمانَ بنَ الأشعثِ يقول: الفقهُ يدورُ على خمسةِ أحاديث: «الحلالُ بيّنٌ والحرامُ بيّنٌ»، وأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «لا ضررَ، ولا ضِرارَ»، وأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنّما لامرئٍ ما نوى»، وأنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «إنَّما الدينُ النصيحةُ»، وأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «ما نهيتُكم عنه فاجتَنِبُوه، وما أمَرْتُكم به فأْتُوا منه ما استطَعتُم».[١]

أقولُ: وفي هذا الحديثِ ما لا يمكنُ ضبطُهُ بالقانونِ الوضعيّ البشريّ؛ إذ هو يخاطِبُ الوجدانَ الإنسانيَّ، والنيَّاتِ الباطنة، وهذا حالُ الشرائعِ الإلهيَّةِ الصادرةِ عن العليمِ الخبير، الذي يعلمُ السرَّ وأخفى، فيكونُ المُكلَّفُ بين ترغيبٍ وترهيب، مراقبًا نفسَهُ فلا يأخذ ما ليس من حقِّه، ويربأ بنفسهِ عن الظلم، أمَّا القوانينُ الوضعيَّةُ فلا تنظر إلَّا إلى الظاهر، ولذلك يكثُرُ التحايُلُ عليها، وينظرُ كلُّ مخاطَبٍ بها إلى مصلحتهِ الذاتيَّة، وبذلك يكثُرُ اللغْطُ، ويفشو ضياعُ الحقوق.

ويشهدُ لذلكَ ما وقعَ لجريرِ بنِ عبدِ الله البَجَليّ رضي الله عنه فيما رواهُ الحافظُ أبو القاسمِ الطبرانُي أنَّ جريرًا أمرَ مولاهُ أنْ يشتريَ له فرسًا، فاشترى فرسًا بثلاثمئةِ درهمٍ، وجاءَ به وبصاحبهِ لينقدَهُ الثَّمن، فقال جريرُ لصاحبِ الفَرَس: فرسُكَ خيرٌ من ثلاثمئةِ درهمٍ، أتبيعَهُ بأربعمئةٍ؟ قال: ذلكَ إليكَ يا أبا عبدِ الله! فقال: فرسُكَ خيرٌ من ذلك، أتبيعهُ بخمسمئةٍ؟ ثم لم يزلْ يزيدهُ مئةً فمئةً وصاحبهُ يرضى، وجريرٌ يقول: فرسُكَ خيرٌ، إلى أن بلغَ به ثمانمئة درهمٍ، فاشتراهُ بها، فقيل له في ذلك، فقال: بايعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على النُّصْحِ لكلِّ مسلمٍ.[٢]

١ الجامعُ لأخلاقِ الراوي وآدابِ السامع للخطيبِ البغداديّ ٢/ ٢٩٠.

٢ المعجمُ الكبير للطبرانيّ ٢/ ٣٣٤ (٢٣٩٥).

المطلبُ الثاني: التعريفُ بشرحَينِ جليلينِ لحديثِ «الدِّيْنُ النصيحَةُ»

ظفرتُ بالاستقراءِ بشرحينِ للحديث، لعالِمَيْنِ جليلينِ؛ الشيخِ أحمدَ زرُّوق المالكيِّ، وشيخِ الإسلام محمَّدِ بنِ محمودِ بن أحمد دباغ زاده، أُترجِمُ أوَّلًا للمصنِّفين، ثم أعقدُ مقارنةً بين الكتابينِ بعون الله تعالى.

أولاً: الشيخ أحمد زرُّوق.[1]

أحمدُ بن محمَّد بن عيسى الشِّهاب البُرْنُسيُّ المغربيُّ الفاسيُّ المالكيُّ، ويعرف بزَرُّوق، ولد سنة (٨٤٦هـ)، وماتَ أبواه قبل تمامِ أُسبُوعه، فنشأَ يتيمًا، وحَفِظَ القرآن، وارتحلَ إلى الديارِ المصريَّة، وحجَّ وجاوَرَ بالمدينة.

فقد أقامَ بالقاهرةِ نحو سنة مديمًا للاشتغالِ عند الجَوْجريِّ (ت: ٨٨٩هـ) في العربيَّةِ والأصولِ وغيرهما، وقرأَ على السخاويِّ (ت: ٩٠٢هـ) «بلوغَ المَرَام»، وفي الاصطلاح، ولازمهُ في أشياء، ومن شيوخهِ الشيخُ الإمامُ عبدُ الرحمنِ الثعالبيُّ (ت: ٨٧٥هـ) المفسِّرُ الشهيرُ، والإمامُ السنوسيُّ (ت: ٨٩٥هـ) صاحبُ العقَائد.

وأخذَ عنه جماعةٌ من الأئمَّةِ، منهم محمَّدُ بن عبد الرحمن الحطَّاب (ت: ٩٥٤هـ)، والزَّينُ طاهر القُسَنْطِينيُّ (المتوفَّى بعد سنة ٩٤٠هـ)، وغيرُهم.

والغالبُ عليه التصوُّفُ، وقد تجرَّدَ وساحَ، وصارَ له أتباعٌ ومحبُّون.

تآليفهُ كثيرةٌ، يميلُ إلى الاختصارِ مع التحرير، ولا يخلو شيءٌ منها عن فوائدَ غزيرةٍ، وتحقيقاتٍ مفيدةٍ؛ لا سيَّما في التصوُّف، فقد انفردَ بمعرفتهِ، وجودةِ التأليفِ فيه. توفي سنة (٨٩٩هـ) في طرابلسَ الغرب.

له شرحانِ على رسالةِ القيروانيِّ، وشرحُ مُختصرِ خليل، وشرحُ العقيدةِ القدسيَّةِ للغزاليِّ، ونيِّفٌ وعشرونَ شرحًا على الحِكَمِ العطائيَّة، وكتابُ القواعدِ في التصوُّف، والنصيحةُ الكافيةُ لِمَن خصَّهُ اللَّه بالعافية، وهو مَحَطُّ النظرِ في هذا البحث.

---

١ ترجمتهُ في الضوءِ اللَّامِع للسخاويِّ ١/ ٢٢٢، ونيل الابتهاجِ للتكروريِّ١٣٠- (ترجمة١٢٥)، وشجرةُ النور الزكيَّة ١/ ٣٨٦ - (ترجمة ١٠١٤)، والأعلام للزركليِّ ١/ ٩١.

ثانيًا: شيخُ الإسلامِ محمَّدُ بنُ محمود دباغ زاده

محمَّدُ بن محمود بن أحمد دبَّاغ زاده الروميُّ الحنفيُّ، فقيهٌ مُفسِّر.

ولد في إستانبولَ، ونشأَ بـها، وأخذَ علومَهُ من علماءِ عصرِهِ، وبعدَ إتمامِ دراسَتِهِ في سنة (١٠٦٧هـ) تقلَّدَ التدريسَ في المدارسِ العثمانيَّة، ثم انتقلَ للعملِ في القضاءِ العثمانيّ، فعُيِّن قاضيًا في الشامِ سنة (١٠٧٧هـ)، ثـمَّ في قضاءِ أدرنه سنة (١٠٨١هـ)، وفي سنة (١٠٨٥هـ) أصبحَ محمد أفندي قاضيًا في إستانبول.

تولَّى محمَّد دباغ زاده أفندي منصبَ شيخِ الإسلامِ ومفتي الدولة العثمانيَّة سنة (١٠٩٨هـ)، في عهد السلطانِ محمَّد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩هـ)، والسلطانِ سليمان الثاني (١٠٩٩- ١١٠٢هـ).

مؤلَّفاته: رشحةُ النصيحِ من الحديثِ الصحيح، والترتيبُ الجميلُ في شرحِ التركيبِ الجليلِ للتفتازانيّ في النحو، وحاشيةٌ على جزءِ النبأ من أنوارِ التنزيل للبيضاويّ.

توفِّي سنة (١١١٤هـ) في إستانبول، ودُفن في المدرسةِ القريبةِ من جامعِ السلطانِ سليم.[١]

المطلبُ الثالث: مقارنة بين الكتابين

حجمُ العمل

النصيحةُ الكافية طبع في (١٦٣ صفحة) بينما رشحةُ النصيحِ يقع في نحو (١٥٠) ورقة مخطوط، فالثاني أضعافُ حجمِ الأوَّل.

والسببُ في ذلك أنَّ الشيخَ أحمد زرُّوق يميلُ إلى الاختصار، ويشهدُ لذلكَ عادتُهُ في مصنَّفاته، فهو يميلُ إلى الإيجازِ، والاكتفاءِ بالإشارةِ عن العبارة، كقوله: (ثـمَّ الكذِبُ على العلماءِ في نقلِ حكمٍ، أو ما يَقتضيهِ، وإنْ وافقَ الحقَّ؛ لأنَّ للوارثِ من الحرمةِ ما للموروثِ في بابِ ما ورثَ عنه).[٢]

١ هديَّة العارفين ٦/ ٣٠٧، إيضاح المكنون ٣/ ٥٧٣، الأعلام ٧/ ٧٩، معجم المؤلِّفين ١١/ ٣١٢.

٢ النصيحة الكافية لأحمد زروق ٤٦.

ففي سياقِ الحديثِ عن الكذِبِ على رسولِ الله، في المحارِمِ اللسانيَّة، عطفَ عليه الكذبَ على العُلماءِ في تقويلهم ما لم يقولوهُ، من فتوى ونحوِها من مسائلَ ألقَوْها في مجالسِ التعليم، وذكرَ ما وافقَ منها الحقَّ واكتفى به عن ذِكرِ ما خالفَ الحقَّ؛ لأنَّهُ كذبٌ محضٌ وافتراءٌ عظيم، ثم قرَّرَ أنَّ حُرمةَ العلماءِ الوارثينَ تابعةٌ لحرمةِ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم في العلمِ والتبليغ، ويمكنُ بسطُ هذا الكلامِ بأطولَ من هذا إلَّا أنَّهُ آثرَ الإيجاز.

أمَّا الشيخُ محمَّد دباغ زاده فظهرَ لي ميلُهُ إلى الإطنابِ من خلالِ وضعِ خطَّةٍ موسَّعةٍ للكتاب، والاستكثارِ من الشواهدِ على قضيَّةٍ واحدةٍ، ولو كان المطلوبُ فيها شائعًا مشهورًا، فمِنْ ذلك استشهادُهُ على فضيلةِ التقوى بـ(١٤٦) آيةٍ سردَها سردًا دون معرفةِ الغايةِ من هذا الاستيعاب.

غرضُ التأليف

ذكرَ شيخُ الإسلامِ دبَّاغ زاده في مقدِّمةِ «رشحةِ النصيح» بعد الكلامِ عن النصيحةِ وأهميَّتِها في الشريعةِ والحياةِ سببَ التأليفِ فقال: (فلِهَذا أردتُ شرحَ النَّصيحةِ بجمعِ الأخبارِ الصحيحة، والآثارِ والحِكَم الفصيحة، من الكتبِ المُعتبَرةِ المشهورة، والأقوالِ المرغوبةِ المنصورة).

ولم يذكر الشيخُ أحمد زرُّوق الغرضَ من التأليفِ؛ بل إنَّهُ تكلَّمَ عن النصيحةِ وفَضلِها، وشرعَ في شرحِ وبيانِ مُفرداتِ حديثِ «الدِّيْنُ النصيحةُ».

ومن النظرِ والتأمُّلِ في صنيعِهما وجدتُ أنَّ منهجَ الشيخ أحمد زرُّوق يكثرُ فيه التذكيرُ والموعِظَة، وحثُّ المكلَّفينَ على العملِ الصالحِ طبقَ الضوابطِ الشرعيَّة، وهو محقِّقٌ في الذوقيَّات، مُتعمِّقٌ في حقائقِ النفس، خبيرٌ بأمراضِ القلوب، فيبدو أنَّ غرضَهُ في التأليفِ هو إيقاظِ هِمَمِ أهلِ زمانهِ للتمسُّكِ بأهدابِ الشريعةِ بين أوامرٍ ونواهٍ.

وشيخُ الإسلام دبَّاغ زاده كان من غرضِهِ نصيحةُ السلاطين، ويدلُّ لذلكَ تطويلُهُ الفصلَ المختصَّ بذلك إلى نحو ثُلثِ الكتابِ من ثمانيةِ فُصول، أكثرَ فيها النقلَ عن الفقهاءِ وكُتبِ السياسةِ الشرعيَّة.

أهمُّ المقاصِد في الشرح

خطَّةُ «النصيحة الكافية» تحوي مقدِّمةً، وخمسةَ أبوابٍ، في كلِّ بابٍ ثلاثةُ فصول:

الباب الأوَّلُ: النصيحةُ لله، الفصلُ الأوَّل: اتِّباعُ الأوامر، الفصل الثاني: نصرةُ الدِّين، الفصلُ الثالث: التسليمُ في الحُكم.

الباب الثاني: النصيحةُ لرسوله، الفصل الأول: اتِّباعُ سُنَّته، الفصل الثاني: إكرامُ قرابتهِ صلَّى الله عليه وسلَّم، الفصل الثالث: الشَّفَقَةُ على أمَّته.

الباب الثالث: النصيحةُ لكتابه، الفصل الأوَّل: تَدبُّر آياته، الفصل الثاني: العملُ بمأموراتِه، الفصل الثالث: تحسينُ تلاوته.

الباب الرابع: النصيحةُ لعامَّةِ المسلمين، الفصل الأوَّل: الذبُّ عن أعراضِهم، الفصل الثاني: إقامةُ حُرمتِهم، الفصل الثالث: النُّصرةُ لهم.

الباب الخامس: النصيحةُ لخاصَّةِ المسلمين، الفصل الأوَّل: الطاعةُ للأُمَراء، الفصل الثاني: التصديقُ للعلماء، الفصل الثالث: التسليمُ للفُقراء.

أما «رشحة النصيح» فكانت خُطَّته كالتالي:

مقدِّمةٌ وخمسةُ مَقاصد.

المقصد الأول: في النصيحةُ للَّه، وفيه مقدِّمةٌ في تفسيرِ الدِّيْنِ وخمسةُ أبواب، الباب الأوَّل: في شرحِ النصيحةِ للَّه في بيان أنْ ترجعَ إلى الإيمانِ به. الباب الثاني: في بيانِ نفي الشِّرك عنه. الباب الثالث: في بيانِ القيامِ بطاعته، واجتنابِ مَعصيتِه. الباب الرابع: في الاعترافِ بنعمةِ اللَّه تعالى وشكره. الباب الخامس: في الإخلاصِ في جميعِ الأمور.

المقصد الثاني: في النصيحةِ لكتابِه، وفيه خمسةُ أبواب، الباب الأوَّل: في الإيمانِ بأنَّه كلامُ الله تعالى لا يشبهُ شيءٌ من كلامِ الخلْق. الباب الثاني: في تعظيمِ القرآن.

الباب الثالث: في المُحكَمِ والمتشابه. الباب الرابع: في البحثِ عن الناسخِ والمنسوخ. الباب الخامس: في البحثِ عن عمومهِ وخصوصهِ وسائرِ وجوههِ وفنونِ علومه.

المقصد الثالث: في النصيحةِ لرسولهِ صلَّى الله عليه وسلَّم، وفيه خمسةُ أبواب، الباب الأوَّل: في تصديقهِ فيما أتى به ووجوبِ الإيمانِ به. الباب الثاني: في وجوبِ طاعتهِ صلَّى الله عليه وسلَّم في أوامرهِ ونواهيه. الباب الثالث: في إعظامِ حقِّهِ وإحياءِ سُنَّته. الباب الرابع: في محبَّتهِ صلَّى الله عليه وسلَّم أكثرَ من الأهلِ والولدِ والناسِ أجمعين. الباب الخامس: في محبة أهلِ بيتهِ وأصحابهِ صلَّى الله عليه وسلَّم.

المقصد الرابع: في النصيحة للأئمَّة، واتخذَ مسلكينِ في تفسيرِ (الأئمة):

المسلكُ الأوَّل: الأئمَّةُ هم الأمَراء. وفيه ثمانية أبواب، الباب الأوَّل: في معاونتهم على الحقِّ. الباب الثاني: في طاعتهم في الحقِّ. الباب الثالث: في تذكيرهِم برفقٍ. الباب الرابع: في تركِ الخروجِ عليهم. الباب الخامس: في دَفعهِم عن الظلمِ بالتي هي أحسن. الباب السادس: في الصلاةِ خلفَهُم والاقتداءِ بهم. الباب السابع: في الجِهاد معهم. الباب الثامن: في أداءِ الصدقاتِ إليهم.

المسلكُ الثاني: الأئمَّةُ هم علماءُ الدين، وفيه بابان، الباب الأوَّل: في قبولِ ما رَوَوْه. الباب الثاني: في بيانِ تقليدِهِم في الأحكامِ مع إحسانِ الظنِّ بهم.

المقصد الخامس: في نصيحةِ العامَّة، وهو على خمسةِ أبواب، الباب الأوَّل: في إرشادِهِم لمصالحِهِم في أُولاهُم وأُخراهُم. الباب الثاني: في كفِّ الأذى عنهم. الباب الثالث: في تعليمِ ما جَهِلوا وفيه تعدادُ حقوقِ الأُخوَّة، الباب الرابع: في بيانِ إعانَتِهِم على البرِّ والتقوى. الباب الخامس: في الشَّفَقةِ عليهم، وأن يُحبَّ لهم ما يُحبُّ لنفسهِ من الخير.

النمطُ العامُّ للشرحِ (الوجدان أو العقل)

يغلبُ على «النصيحةِ الكافية» الأسلوبُ الوجدانيُّ يخاطِبُ فيه القَلْب، ويحرّكُ المشاعرَ لتحفيزِ الهِمَمِ إلى الجهادِ والعملِ الصالح. ففي أثناءِ بيانِ الأحكامِ الفقهيَّةِ

للطهاراتِ مثلًا يتحدَّثُ عن دواءِ الوَسْوَسَة، ويعدِّدُ ما يورثُ النِّسيَان، وينقلُ عن بعضِ العلماءِ أنَّ (الحضورَ في الصلاةِ بقدرِ الحضورِ في الوضوء)، وهذهِ فوائدُ جليلةٌ لم نعهد الفقهاءَ يذكرونَها بهذهِ الكثرةِ في مصنَّفاتِهم.

أمَّا «رشحةُ النصيح» فيجمعُ بين الرَّقائقِ التي نقلَ كثيرًا منها عن إحياءِ علومِ الدِّيْنِ للغزاليّ، والطريقةِ المحمديَّةِ للبركويّ، والمسائلِ العلميَّةِ في الفقهِ والسياسةِ الشرعيَّةِ المنقولةِ من كتابِ «الهداية» للمرغينانيّ وعدد من كتبِ الفتاوى، والعقيدةِ كالسنوسيَّةِ والنسفيَّة، والتفسيرِ كالفخرِ الرازيّ والبيضاويّ، فهو يخاطِبُ العقلَ والقلبَ معًا.

خاتمة

السُّنةُ المطهَّرةُ كنزٌ تشريعيٌّ ولغويٌّ وإنسانيٌّ، ينبغي على المعتنينَ بها بذلُ الجهودِ لاستخراجِ الفوائدِ منها، ورفدِ المعرفةِ الإنسانيَّةِ بالمزيدِ من المعارفِ المُقتبَسةِ منها.

ومن نتائجِ البحثِ أنّي وجدتُ بالاستقراءِ أنَّ العُلماءَ لم يَألَوا جُهدًا في خدمةِ السُّنةِ المطهَّرة، وخصوصًا شرحَ الحديثِ الواحدِ من جوامعِ الكَلِمِ بتصنيفٍ مُفرَد.

ورأيتُ من خلالِ مُطالعةِ الكتابينِ اهتمامَ الشيخ أحمد زرُّوق ببيانِ أحكامِ الحلالِ والحرام، والخللِ فيها، والتماسِ الحلولِ لها من الشريعةِ والمجرَّبات، وتوسُّعهِ في ذكرِ أمراضِ القلوب، وآفاتِ الجوارحِ والحواسّ، وتلمُّسِ الدواءِ والوقايةِ منها.

أمَّا شيخُ الإسلامِ محمَّد دبَّاغ زاده فقد توسَّعَ في الاستدلالِ على مقاصدِ النصيحةِ من الكتابِ والسُّنةِ وأقوالِ الرِّجال، وبسطَ القولَ في السياسةِ الشرعيَّةِ مُكثرًا من النقولِ عن أهلِ الاختصاصِ في كلِّ بابٍ من العقيدةِ والفقهِ والفتوى والرقائق.

وختامًا أرجو أن أكونَ قد وُفِّقتُ لعرضِ تعريفٍ بكتابينِ نافعينِ في معنى حديثِ «الدِّينُ النصيحةُ»، وأحيلُ القارئَ والمُعتني إلى هذين السِّفرَينِ الجليلينِ لينهلَ من فوائِدهما، وأرجو أن يكونَ هذا العملُ دافعًا للعملِ بمقتضى الكتابِ الكريمِ والسُّنةِ المطهَّرة، واتِّباعِ منهجِ العلماءِ العاملين، والمربِّين الربَّانيِّين.

واللهُ تعالى من وراءِ القصْد، وهو يهدي السَّبيل.

المصادرُ والمراجِع

- **أعلام الحديث شرح صحيح البخاري** لأبي سليمان حَمْد بن محمد الخطَّابي (ت: ٣٨٨هـ)، مركز البحوث العلميَّة بجامعة أمِّ القرى، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- **الأعلام** لخير الدين بن محمود بن محمد الزركليّ الدمشقيّ (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
- **إيضاح المكنون**، لإسماعيل بن محمَّد أمين البغداديّ (ت: ١٣٩٩هـ)، مطبعة وكالة المعارف، إستانبول، ١٩٥١م.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** لمحمد بن علي بن محمد الشَّوكانيّ (ت: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
- **تاريخ التراث العربي**، للدكتور فؤاد سزكين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغداديّ (ت: ٤٦٣هـ)، ت د.محمود الطحَّان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٢م.
- **سُننُ الترمذيّ** لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذيّ (ت: ٢٧٩هـ)، ت د. بشَّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- **سُنن الدارميّ** لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضلِ الدارميّ (ت: ٢٥٥هـ)، ت نبيل الغمري، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- **سُنن النسائيّ**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائيّ (ت: ٣٠٣هـ)، إعداد: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- **شجرة النور الزكيَّة في طبقات المالكيَّة**، لمحمد بن محمد مخلوف (ت: ١٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- **صحيح البخاريّ** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ (ت: ٢٥٦هـ)، ت محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ
- **صحيح مسلم** لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القشيريّ النيسابوريّ (ت: ٢٦١هـ)، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **صِلةُ الخَلَف بموصولِ السَّلف**، لشمس الدين محمد بن محمد الرُّودانيّ السوسيّ (ت:

١٠٩٤هـ)، ت محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاويّ (ت: ٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
- **طبقات الشافعية**، لأبي بكر بن أحمد الأسديّ الدمشقيّ، ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ)، ت عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاريّ** لأحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ (ت: ٩٥٢هـ)، ت محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- **فهرسُ الفهارس والأثبات ومعجمُ المعاجمِ والمشيخاتِ والمسلسلات**، لمحمد عبد الحيّ الحسنيّ الإدريسيّ الكتانيّ (ت: ١٣٨٢هـ)، ت إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- **فهرسة ابن خير**، لمحمد بن خير اللمتونيّ الإشبيليّ (ت: ٥٧٥هـ)، ت محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، (ت: ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.
- **المعجم الكبير** لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانيّ (ت: ٣٦٠هـ)، ت حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.
- **معجم المؤلّفين**، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت ودار إحياء التراث العربي بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
- **معجم تاريخ التراث الإسلاميّ في مكتبات العالم**، إعداد: علي الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري، تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- **النصيحة الكافية لمن خصَّه الله بالعافية**، للشيخ أحمد زرُّوق (ت: ٨٩٩هـ)، ت قيس آل الشيخ مبارك، مكتبة الظلال، الأحساء، ط١، ١٩٩٣م.
- **نيل الابتهاج بتطريز الدِّيباج**، لأحمد بابا بن أحمد التكروريّ السودانيّ (ت: ١٠٣٦هـ)، عناية: الدكتور عبد الحميد الهَرَّامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م.
- **هديَّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين**، لإسماعيل بن محمد أمين البغداديّ (ت: ١٣٩٩هـ)، مطبعة وكالة المعارف، إستانبول، ١٩٥١م.